الحادث..

(١)

خارج القرية، وحيث تنبسط الزراعات الشاسعة الخضراء،انتصف الليل، البرد كان قارساً، هكذا وجدها خفير الدرك الليلي هو وزميله، كانت ملقاة بملابسها في مصرف المياه القبلي، الوقت مَرَّ بطيئاً متثاقلاً، لم تكن الشمس قد أشرقت بعد حين دوت صرخة عالية من تلك العجوز،أمها:» يا زبيـــدة يا بنتي..
يا زبيدة يا بنتي..»..كانت تحثو فوق رأسها التراب، سكون صباح القرية الباكر أعلن وقوع الخطب الأليم، الصباح كان قد فرش علي القرية عباءة من نور الفضة بسخاء ، لهج أحد الخفراء بصوت مبحوح:
« أفسحوا الطريق العمدة وصل»،نهش الأرضَ بقدميه ، تصاعد حوله الغبار ،لغده كبير تدلي تحت الذقن حتي الصدر وهو يترجرج ، جسده لحيم، وأنفه الكبير المفلطح توسط وجهه، ولما أخرج القرويون الجثة من المصرف ساد الصمت علي الجميع،استجمع العمدة جرأته وتقدم في هدوء كلص يسترق البصر، راح أحد الخفراء يزيل اللثام عن وجه الجثة، غتامة الأعضاء أرهبت الواقفين،أطلقت الأم الستينية صيحاتها مرة أخري، وسقطت مغشياً عليها، نطق العمدة كالجمل وهو يلم الطعام بفمه وقد انتفخت أوداجه:
- بعد صدور تصريح الدفن من النيابة العامة، تُدفن الجثة في «مقابر الصدقة»، كما تُدفن ملابسها الداخلية بعيداً عن البلدة، في قلب الجبل؛ هرباً من نجاستها، وتحرراً من لعنات تاريخها الأسود الذي لوَّث سمعة قريتنا ، كانت وجوه الواقفين غائرة، وقد هزها التعب، صرخت من الوجع والحرقة..معاً..!!

(٢)

الأفق سديمي كئيب،الشمس في ذروة سطوعها، عاندني النوم في غرفتي .. نهضت منزعجاً من صدمتي،سري في جسمي دبيب رعشة، ودخلت في نشيج وبكاء حارين،عندما زاحمني الحزن ، ومَرَّ علي شرفة ذاكرتي مشهد هذا العمدة الملعون وهو يقف شبه عارياً في بيت «زبيدة الغازية»، العرق تقاطر من جسمه، ثم توسد صدرها ونام..فوق سريرها النحاسي ..!!